الحب بين منهجي "الفهم" و"التفسير"
دراسة مقارنة

د. وائل علي سعيد[1]

1.1 ملخص

يسعى البحث لدراسة فجوة منهجية في دراسة الحب، تتمثل بالفارق بين منهجين يقومان بدراسة الحب، وهما منهج الفهم ومنهج التفسير، فلكل من المنهجين خصوصيته الفلسفية، ويقدمان نتائج مرموقة، لكنها محدودة بقدرات كل من المنهجين، ومن هنا يتجه البحث لتحديد أوليات كل من المنهجين، وحدوده ، ومن ثم التساؤل عن إمكانية الجميع بينهما، لأن منهج التفسير يعجز عن التقاط معنى الحب وخصوصيته، ويختزله في مجموعة من العلاقات السببية، على الرغم من قدرته على وضع نظرية متكاملة تملك إمكانية التعميم، وتجعل بمكنتنا التنبؤ والتحكم بسلوك الحب. في حين يمسك منهج الفهم بمعنى الحب وتفرده، ويكون عاجزا عن تقديم ارتباطات وعلاقات محكمة وحتمية، كما يعجز عن تقديم نظرية تقبل التعميم، لذا يجد البحث أن الجمع بين المنهجين أمر مثمر على صعيد تعريف الحب وتحديده، بعد أن تبين أن اختيار المنهج أمر مؤثر على المستوى الأنطولوجي في تحديد طبيعة الحب بذاته.

[1] وائل علي سعيد جامعة حمص، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، wsaed@homs-univ.edu.sy

Love Between the Approaches of 'Understanding' and 'explanation': A Comparative Study

Ph.D. Weal Ali Saed[2]

1.2 Abstract

This research seeks to address a methodological gap in the study of love, represented by the difference between two methods to study love: the understanding method and the explanation method. Each of the two methods has its own philosophical specificity and provides prestigious results, but these are limited by their capabilities. Hence, the research moves to determine the steps and limitations of each method, and then questions the possibility of combining them. This is because the explanation method fails to capture the meaning and specificity of love, reducing it to a set of causal relationships, despite its ability to develop a comprehensive theory that possesses the potential for generalization and enables us to predict and control love behavior. While the understanding approach grasps the meaning and uniqueness of love, it is unable to provide precise and inevitable connections and relationships, nor is it able

[2] Ph.D. Wael Ali Saed, Homs University, Faculty of Arts and Human Sciences, Department of Philosophy, wsaed@homs-univ.edu.sy

to provide a theory that accepts generalization. Therefore, the research finds that combining the two methods is fruitful in defining and specifying love, after it has become clear that the choice of method is influential at the ontological level, i.e., determining the nature of love itself.

1.3 المقدمة

يشير منهج الفهم إلى الحب باعتباره موقفا معرفيا أو نمطا من الانخراط يشكل الطريقة التي ندرك بها الواقع، خصوصا في لقاءاتنا مع الأشخاص والقيم والمعاني. أما منهج التفسير، بالمقابل، فيعامل الحب كظاهرة يتعين تحليلها وشرحها بشكل منهجي من خلال حسابات سببية أو ميكانيكية أو هيكلية.

يرى هذا البحث بأن هذين المنهجين يوجدان في علاقة جدلية معقدة، حيث يمكّن كل منهما الآخر، ويقيّده في الوقت ذاته، مما يخلق توترا ديناميكيا يثري كل من فهمنا الحي ومعرفتنا النظرية بدور الحب في التجربة الإنسانية.

1.4 إشكالية البحث

هل يجب دراسة الحب بمنهج الفهم القائم على التجربة الداخلية والمعنى الذاتي؟ أم هل يجب دراسة الحب بمنهج التفسير الذي يبحث عن الأسباب والعوامل الخارجية العامة؟ أم هل يجب الجمع بين المنهجين في دراسة الحب؟ فمنهج الفهم يتيح الوصول إلى معنى الحب كما يتجلى في التجربة الشعورية للإنسان، وهذا أمر فردي بصورة بحتة، بينما يساعد منهج التفسير في تحديد الأسباب الاجتماعية والبيولوجية للحب، وبالتالي بناء نظرية قابلة للتعميم، وعلى هذا الأساس نتساءل عن الجوانب المفقودة بين المنهجين وعن أهمية الجميع بينهما.

1.5 أسئلة البحث الفرعية

يحاول البحث الإجابة على مسألة فلسفية مهمة تتعلق بأثر منهج البحث المعتمد على موضوع البحث الفلسفي، أما من حيث الأسئلة الفرعية:

1- ما أوليات منهج التفسير؟
2- ما أوليات منهج الفهم؟
3- كيف ينعكس منهج التفسير على دراسة الحب؟
4- كيف ينعكس منهج الفهم على دراسة الحب؟
5- كيف يؤثر منهج التفسير على منهج الفهم في دراسة الحب؟
6- كيف يؤثر منهج الفهم على منهج التفسير في دراسة الحب؟

7- ما حدود استخدام منهج التفسير؟
8- ما حدود استخدام منهج الفهم؟
9- ما تحديات الجمع بين المنهجين؟

1.6 فرضيات البحث

ينطلق البحث الفرضيات التالية:

1- يعجز منهج التفسير عن الإحاطة بتجربة الحب بوصفها ظاهرة ذاتية ومعنوية، بينما يتيح منهج الفهم مقاربة أعمق لتجلياتها الوجودية.
2- يؤدي اعتماد منهج التفسير على السببية إلى اختزال الحب في عوامل بيولوجية أو اجتماعية، مما يفرّغ التجربة من بعدها التأويلي.
3- منهج الفهم، رغم عمقه التأويلي، يفتقر إلى أدوات قابلة للتعميم، مما يحد من قدرته على بناء نظرية علمية حول الحب.
4- تتجلى فجوة المعنى بين الفهم والتفسير في عجز المنهج التفسيري عن التقاط "النية" و"المعنى الذاتي" في تعبيرات الحب.
5- يؤدي الجمع بين المنهجين (الفهم والتفسير) إلى إنتاج معرفة أكثر تكاملا حول الحب مقارنة بالاعتماد على أحدهما فقط.
6- تختلف نتائج دراسة الحب باختلاف المنهج المستخدم، مما يشير إلى أن اختيار المنهج ليس محايدا معرفيا بل يؤثر في طبيعة النتائج.

1.7 أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في أهمية الموضوع، فالحب ليس مجرد انفعال أو شعور، يعبر الساحة النفسية للإنسان، بل إنه تجربة وجودية تتداخل فيها الأبعاد النفسية والاجتماعية والبيولوجية، تحتوى على عالم الإنسان بكامله. لذلك لا بد من دراسته دراسة وافية شاملة لجميع جوانبه، وهذا أمر لا يتوفر من خلال منهج واحد، فإذا استخدمنا منهج الفهم نجد أنه يركز على الجانب الذاتي؛ أي الدخول في التجربة الداخلية للإنسان، ومحاولة عيش الحب من الداخل وفهم معناه الشخصي، أما إذا استخدمنا منهج التفسير فأننا نجد أنه يركز على الجانب الموضوعي؛ أي الاهتمام بالبحث عن

الأسباب والعوامل الخارجية التي تفسر الحب كظاهرة، من الخارج اعتمادا على العوامل العصبية أو الاجتماعية. ومن هنا يسعى البحث للتأكيد على جسر الهوة بين الذاتية والموضوعية، وبناء رؤية متوازنة لا تنحاز فقط إلى التجربة الذاتية أو إلى التحليل العلمي البارد الموضوعي، وتجنب الاختزال، فالفهم يفتح الباب أمام المعنى الشخصي للحب: كيف يعيشه الفرد، كيف يراه، وكيف يعبّر عنه. والتفسير يقدّم التحليل الموضوعي: لماذا يحدث الحب، ما هي شروطه، وما العوامل التي تؤثر فيه. هذا الجسر يفتح المجال أمام رؤى جديدة: مثل كيف يمكن للعلم أن يفسر الحب دون أن ينفي معناه، وكيف يمكن للفلسفة أن تفهم الحب دون أن تهمل جذوره البيولوجية.

1.8 أهداف البحث

1- إبراز أوليات منهجي الفهم والتفسير.
2- إبراز الفرق بين منهجي الفهم والتفسير.
3- إبراز حدود ونقاط ضعف وقوة كل منهج.
4- توضيح كيف يؤثر كل منهج على دراسة الحب كفاعلية إنسانية.
5- إبراز العلاقة بين الأنطولوجيا والأبستمولوجيا، حيث يؤثر منهج البحث في تعريف الحب.

1.9 المصطلحات

1.9.1 الحب LOVE

يقول أفلاطون: "إن المحب يتحد بمحبوبه ويفنى فيه؛ فيصير المحب والمحبوب شخصا واحدا؛ وعلة ذلك أننا كنا أصلا كائنا واحدا، وليس الحب إلا تعبيرا عن الشوق إلى العودة إلى الأصل، ووسيلة إلى ذلك. فنحن أصلا كائن واحد أغرى ما ركب فينا من غرور زيوس أن يشطر الكائن منا شطرين كما شطر أهل أسبرطة مدينة الأركاديين شطرين" (أفلاطون، 1954، 52-53) وعلى هذا يكون الحب نوع من الاتصال الإيجابي العميق الذي يكشف عن علاقة التماهي بين الإنسان والآخر.

1.9.2 الفهم Understanding

جاء في المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة في مادة الفهم أنها: "تصور المعنى من لفظ المخاطب فهو الإدراك أو حصول الصورة عند النفس الناطقة، وهو قوة كقوة الذهن، أو استعداد لإدراك العلوم والمعارف بالفكر. وجودة الفهم هي صحة الانتقال من الملزومات إلى اللوازم. والفهم عند هايدجر هو Verstehen أي أن نفهم مواقفنا في الوجود ونحددها ونشرحها ونتأملها، والأهم من ذلك هو أن نجد الطريقة لتحقيق مشروعاتنا في الوجود، فالفهم ينطوي على جانب ذهني وجانب عملي، والعملي هو تحقيق الأشياء بالذهن والسيطرة عليها، فأن يفهم الإنسان العالم معناه أن يعيشه كاملا وفي حرية وبثراء" (الحفني، 2000، 623)

1.9.3 تفسير Explanation

جاء في قاموس لالاند في مادة فسَّر to explain: أنها "تحتمل ثلاث درجات: أ: بالمعنى الأشمل بسّط أو وصف، وضع حدا واضحا لما كان مجهولا غامضا أو ملتبسا. مثلا : فسر معنى كلمة ... ب: بنحو أخص فسر موضوعا معرفيا يعني بيّن أنه متضمن في حقيقة أو عدة حقائق مسلم بها من قبل (على سبيل الإقرار أو الافتراض). ج. بالمعنى القوي، بيّن أن ما يجري تفسيره متضمن ليس فقط في مبادئ مسلم بها، بل واضحة أيضا بكلام آخر أظهر أنه يتعلق لزوما بأحكام لزومية" (لالاند، 2001، 394-395)

أما في المعجم الشامل فقد قال أن التفسير على أنواع هي: "التفسير الوصفي يتعلق بالعناصر المادية للظاهرة. والتفسير النشوئي يتعلق بالظروف أو العلل المباشرة التي كانت سببا في نشوء الظاهرة. ويتعلق التفسير الغائي بالغايات النهائية التي من أجلها أو بهدف تحصيلها وتحقيقها كان للشيء أو الحدث طبيعة خاصة. والتفسير الوظيفي تفسير غائي ينبه إلى ما يؤديه الشيء أو الفعل داخل السياق أو الكل، وما يؤدي إليه من نتائج تؤثر على الكل، ويرتد هذا التأثير على الشيء نفسه وهكذا في تفاعل مستمر" (الحفني، 2000، 209)

1.9.4 تأويل Interpretation

جاء في المعجم الشامل في شرح مادة تأويل أنه "مشتق من الأول وهو لغة الرجوع، ويرادف التفسير وقيل هو الظن بالمراد والتفسير القطع به، فاللفظ المجمل إذا لحقه البيان بدليل قطعي

يسمى مفسَّرا. والتأويل في الشرع صرف اللفظ من معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتاب والسنة" (الحفني، 2000، 175)

"ومن فلاسفة التأويل المعاصرين دكتور نصر حامد أبو زيد، ويرى الفرق بين التفسير والتأويل، أن التفسير هو التزام بمضمون النص كما فهمه الأقدمون، بينما التأويل علاقة جدلية بين القائم بالتأويل والواقع في تطوره، يتغير فيها معنى النص ويتجدد بتغير معطيات الواقع" (الحفني، 2000، 175)

1.10 منهج البحث

لجأ البحث إلى منهج التحليل المقارن، حيث تمت مقارنة ظاهرة الحب، عبر سياقات فكرية مختلفة من حيث المنهج، ولم يتم الاكتفاء، بوصف الظاهرة بل تم السعي إلى تعليلها، عبر إبراز أوجه التشابه والاختلاف، بينها مما أتاح فهما أكثر عمقا وأكثر تركيبا.

1.11 الدراسات السابقة

الدراسة التي نتناولها هي دراسة عبد القادر بلعالم، **الحب في القول الفلسفي.. من المفهومية إلى الأداتية أو من حب الحكمة إلى حكمة الحب**، حيث يتفق البحث معها في عدة نقاط 1- دور الحب في اكتساب المعرفة العقلية: والحديث عن الأيروس تحديدا عند أفلاطون، حيث تسعى النفس للعودة مجددا إلى العالم السماوي، غير أن هذه العودة مشروطة بقدرة النفس على إدراك معرفة حقيقة مثال المثل، وهنا يأتي دور الحب لأنه هو "القوة الدافعة التي تعين النفس في معراجها المعرفي من المحسوس إلى المعقول (الجدل الصاعد ... فالحب معرفيا هو المقدمة والأداة والطريق (الجدل الصاعد) نحو الغاية الفلسفية المقصودة التي تبرر كون الفلسفة حبا للحكمة." (بلعالم، 2019، 103)

2- دور الحب في اكتساب المعرفة الحدسية: بما أن الحب هو محرك الجدل الصاعد، تندفع النفس إلى معرفة الموضوعات حسب رتبها، كلما نشأ في النفس شوق إلى ذلك، مندفعة إلى معرفتها بدءا بالأجسام، وصولا إلى حدس الحقيقة الكلية. ومن ثم فإن مراتب المحبة تقابل مراتب الإدراك. حيث إن الإدراك العقلي هو انتقال صورة المحبوب إلى ذات النفس مجردة عن العوارض. و"لولا الحب لما وصل الاستدلال العقلي بالنفس إلى اللحظة الحدسية. وبما أن الأشياء التي نحبها (وهي

التي ندركها) هي الأشياء الجميلة، فإن النفس تتدرج في مراتب الجمال، إلى أن تصل إلى الجمال في ذاته" (بلعالم، 2019، 107) لتتلقى منه الإشراقات والتجليات.

لكن الدراسة لا تتطرق إلى الفارق المنهجي في تناول موضوع الحب بين منهجي الفهم والتفسير كما يفعل البحث، وهذا ينطبق على الكثير من الدراسات التي وجدناها. والتي لا تلتقي مع هذا البحث جزئيا ولا كليا من حيث المقارنة بين مناهج البحث (الفهم والتفسير) في دراسة الحب.

1.12 مضمون البحث

1.12.1 طبيعة الحب

1.12.1.1فروم

يرى فروم أن الحب جواب على مشكلة الوجود الإنساني، أو حل لمشكلة الانفصال التي يعاني منها الإنسان في كل الحضارات والعصور، إذ " يُواجه الإنسان – في كل العصور والثقافات بحل المشكلة الوحيدة عينها: مشكلة قهر الانفصال، كيفية تحقيق الوحدة، كيفية تجاوز الإنسان لحياته الفردية ويجد كفّارته ... يمكن الحل بعبادة الحيوان أو بالتضحية الإنسانية أو بحب الله أو بحب الإنسان" (فروم، 1972، 30–31) وهذا الكلام ينطبق عند فروم على جميع الصُعد، أي على صعيد علاقة الإنسان بالإنسان الآخر، وعلاقة الإنسان بنفسه، وعلاقة الإنسان بالطبيعة، وعلاقة الإنسان بالإله.

فهل نجد ما يماثلها في نمط الأيروس؟ يرى أفلاطون أن الأيروس جني (أفلاطون، 1954، 70)، أي أنه يجمع بين الطبيعة الإلهية والطبيعة الإنسانية، وهو لذلك واسطة بين الإنسان والآلهة، عندما يرفع الإنسان المتناهي إلى مصاف الآلهة اللامتناهية. يقول أفلاطون إن الأيروس ابن لآلهة الفقر وإله الغنى، ولذلك فهو ذو طبيعة ثنائية في جوهره، لأنه نقص وعوز، من جهة ومن جهة أخرى غنى أو كمال، مما يؤدي في المحصلة إلى أن يكون الحب سعيا محموما نحو الكمال، "بهذا المعنى تكون طبيعة الحب ثنائية لأن الحب من ناحية حاجة وعوز وافتقار ثم هو من ناحية أخرى نزوع نحو الخير والجمال والكمال" (إبراهيم، 1966، 133) وهذا السعي نحو الكمال الناشئ

عن الإحساس بالنقص هو الدافع الذي يعطي المحب القوة والديناميكية الهائلة لاتحاده باللامتناهي. ويتجلى هذا السعي المحموم بالرياضات العنيفة والانفعالات الصاخبة.

1.12.1.2هيوم

يبدو الحب عند هيوم على أنه الحب ظاهرة مركبة نفسية –غريزية/ جسدية – فكرية، وهو سلوك قابل للتحليل السببي، لأنه يخضع للتجربة الموضوعية. حيث "تولّد أهواء المحبّة والبغضة انطباعاً بسيطاً ليس إلاّ، من دون أيّ مزيج أو خليط، لذلك من المحال بصورة كليّة تعريفهما. كذلك سيكون من غير الضروري، أنْ نسعى وراء أيّ وصف لهما، مشتق من طبيعتهما وأصلهما وأسبابهما ومواضيعهما؛ ويعود كلا الأمرين إلى كونهما موضوعي بحثنا الحالي من جهة، ومن جهة أخرى لأنّ هذه الأهواء، بذواتها، معروفة بشكل كاف من شعورنا وخبرتنا العامّة" (هيوم، 1734، 129) باختصار لا يقدم هيوم تعريف أو توصيف للحب، لأنه معروف من واقع خبرة أي إنسان، وكل ما يقدمه في التعريف أنه انطباع بسيط، وأن الإحساس به طيب ولذيذ "مثلما سيكون كافياً أن نلاحظ بالعموم أنّ موضوع المحبّة والبغضة، إنّما هو بوضوح شخص ما مفكِّر، وأنّ الإحساس بالهوى السابق طيّب في حين أنّ الإحساس بالهوى اللاحق منغِّص. ونفترض أيضاً مع شيء من الاحتمال، أنّ أسباب هذين الهَوَيَين متعلّقة دوماً بكائن مفكِّر، وأنّ سبب الهوى السابق يولد لذّة مستقلة، في حين يولد سبب الهوى اللاحق إزعاجاً مستقلاً" (هيوم، 1734، 130-131) إذن يقوم هيوم بتحديد موضوع وأسباب الحب وعلى الرغم من أنّ "موضوع المحبّة والبغضة على الدوام شخص ما آخر، فمن الواضح أنّ هذا الموضوع ليس، بقول صحيح، سبباً لهذه الأهواء، ولا يكفي بمفرده لإثارتها" (هيوم، 1734، 130) والتفسير أن المحبة والبغضة أهواء متضادة وتملكان الموضوع نفسه، لذا لا يمكن أن يكون لهما السبب نفسه، وإلا سيلغيان بعضهما بعضا.

1.13 مناهج التفسير والفهم

1.13.1 مناهج التفسير

1.13.1.1التفسير بالنسق

والتفسير على نوعين: يسمى الأول التفسير بالنسق، والثاني التفسير بالقاعدة المطردة. (العروي، 2005، 295) أما التفسير بالنسق فهو الخبر بالمعنى التقليدي؛ أي سرد مجموعة متناسقة من الأفعال البشرية، هذا النسق الذي يعني الاستتباع البديهي، يشترك فيه الإخباري والقصاص والرجل العادي وهو مضمن في الكلام. إذا حللنا خبر تاريخي يقول: خرج السلطان من مدينة مكناسة سنة 1235هـ وهو فعل له سوابق ولواحق، الأولى أسباب الفعل وتكفي لتفسيره، والثانية نتائجه ويكفي هو لتفسيرها "سمينا هذا النمط تفسيرا بالنسق، وكان من الممكن أن نسميه تفسيرا بأسباب النزول أو تفسير المحدثين" (العروي، 2005، 297) لكن ما الذي يعنيه التفسير بالنسق؟ يعني أن التفسير بالنسق يضع متلقي الخبر محل البطل؛ أي فاعل الفعل، يضعه في نقطة الحاضر. فعندما يقرأ المرء هذا النوع من التفسير، يشعر بالبداهة، و"تصبح أفعال البطل هي أفعاله، تطلعات البطل هي تطلعاته، ينتقل إلى حاضر البطل أو ينقل البطل إلى حاضره" (العروي، 2005، 298) بعبارة أوضح، يحل التفسير تلقائيا في الذهن بمماثلة (قياس) تجربة الراوي المخبر وتجربة البطل (الفاعل أو مبتدأ الخبر).

ولهذا النوع من التفسير نتيجتين: الأولى "أن هذا التفسير، لا يصح إلا على الأفعال البشرية" (العروي، 2005، 298) لأننا إذا عممناه على كل الوقائع، نكون قد ارتكبنا خطأ التأنيس؛ أي إعارة إرادة بشرية لكل عامل من عوامل التاريخ. الثانية "أنه لا يمكن في هذه الحال التمييز بين تفسير الحدث التاريخي المحقق وتفسير الحدث المتخيل" (العروي، 2005، 298) فالتفسير بالنسق، تفسير الحدث في حضوره وباستشعاره بداهة الحضور، على الرغم من أنه لا يحمل في ذاته أي دليل على الوقوع، أي ليس فيه أدنى قسط من ضرورة البرهان

1.13.1.2التفسير بالقاعدة المطردة

أما القياس بالقاعدة المطردة فـ "هو أن نعلل حدثا (1) بحدث (2) لأن ارتباطهما متواتر ثابت، كلما تحقق (1) تحقق (2)" (العروي، 2005، 300-301) وبمجرد أن يثبت الاطراد بالملاحظة

أو تظهر الملازمة بالنظر والتأمل، يمكن عندئذ استعمال الشكل القياسي للتعبير عن العلاقة المكتشفة، بمعنى أننا نضع قاعدة عامة تجد الأحداث المفردة تفسيرها من خلال الانضواء تحتها.

التفسير بالنسق لا يمنع في مرحلة لاحقة من التفسير والقاعدة المطردة، علما أن القياس المطرد يتطلب العودة إلى نسق استقرائي يكون أصلا له. إذن من الممكن أن يتساكن النمطين.

لكن ماذا يميز أحدهما عن الآخر؟ الجواب بكل بساطة هو تحديد الحدث. إذ أن قضية التفسير مرتبطة ارتباطا وثيقا بمسألة التعريف. فالحدث الذي يفسَّر بالنسق، بقياس الحاضر على الغائب، هو غير الحدث الذي يفسَّر بالقاعدة المتواترة: "الأول لا يزال في حالة حدوثه، بين ماض محقق ومقبل محتمل فقط، بينما تحول الثاني إلى مفهوم يوجد بين سابقة محققة ولاحقة محققة أيضا." (العروي، 2005، 301)

تتوسع قاعدة التفسير بالقاعدة المطردة بالقياس الموضوعي، وتتحل في مسألة الحتمية. وكل من يؤمن بوجود قواعد عامة، إلهية أو طبيعية لا يقبل إلا هذا النوع من التفسير؛ أي إدخال الحدث المفرد تحت قاعدة عامة، وبالتالي ينفي حرية الفرد. وكل من يؤمن بحرية الاختيار وينفي الحتمية، يرفض هذا التفسير ، ولا يرى أي طريق للتفسير المقنع "سوى ربط الحدث بالسابقة المحققة واللاحقة المتوقعة أي بالهدف المرسوم" (العروي، 2005، 302)

أما عن استخدام التفسير بالقاعدة المطردة على سبيل المثال نجد أن ابن خلدون يلجأ إلى "القاعدة المطردة للحكم بإمكانية أو استحالة الخبر، أما وقوع الخبر فلا يطمئن إليه إلا بالإخبار أي بالشهادة المسندة المبينة على إدراك حسي مباشر، في حين أن همبل يعكس المسألة ويرى أن الاستنتاج القياسي المبني على القاعدة المطردة هو وحده دليل الوقوع" (العروي، 2005، 302) والفارق كبير جدا بين الموقفين.

1.13.2 مناهج الفهم

التفسير هو الجواب على السؤال لماذا؟ أما الاستفهام؛ أي طلب الفهم فهو الجواب على السؤال ما هذا؟ وتطرح مشكلة الفهم بطريقة ملحة في مسائل "لا ينفع فيها القياس الموضوعي (القاعدة المتواترة) لأن الظروف الأولية التي تضمن صحة القياس قد تغيرت، كما لا ينفع فيها القياس الذاتي (المعروف) لأن وحدة التجارب البشرية لم تعد مسلمة" (العروي، 2005، 309) بمعنى أنني لا

أستطيع أن أفسر جنون قيس حبا بليلى من واقع خبرتي الشخصية (قياس ذاتي)، لعدم حصول ذلك معي، أو في محيط علاقاتي الاجتماعية، ولا من خلال القاعدة المطردة (قياس موضوعي)، لأن الشروط الاجتماعية المحيطة بعلاقة قيس وليلى تغيرت كليا، وليس بالإمكان بناء قاعدة تربط ذلك الشرط بالشرط الحالي. وهذا يعني أن التفسير يستلزم "وجود صفة مشتركة بين الحاضر والماضي، وتلك الصفة هي إما القاعدة المتواترة الجارية على الماضي والحاضر (وهذا سند مادي)، وإما التجربة الذاتية غير المتغيرة باتصال السند الضامن لدوامها وعدم تغيرها" (العروي، 2005، 310)

إذن يرتكز التفسير على ضامن هو اتصال السند. وعندما ينقطع الاتصال، مهما كان ظرف الانقطاع، تنتفي أرضية القياس، وعندها يطرح بحدة مشكل الفهم. علما أن الفرق واضح بين موقف الاستفهام هذا، وما أسميناه بالقياس الذاتي في إطار الاستفسار. حيث يتعلق الأمر هنا بكلّة منغلقة على نفسها، لأنها توجد بكاملها خارج تجربتنا، مما يدفعنا نبحث عن القانون المؤسس لها كمجموعة.

ثم أن هذا القانون الذي يفتح لنا باب الفهم هو قانون عام أو قاعدة القواعد، لذا فهو "قيمة، أي فكرة نسب إليها الدور التنظيمي، في حين أن ما نبحث عنه في إطار التفسير هو مجرد علاقة وظيفية. الفهم إذا دائما تقييم، بعكس التفسير الذي هو في الأساس وصف" (العروي، 2005، 312)

أن إنجاز العالم الإيطالي فيكو هو اكتشاف معنى الأمثولة؛ أي "العبارة الشاهدة على الماضي، المنغلقة على نفسها بسبب انقطاع السند، فلزم انتشال مفتاحها منها لكي يحصل تمثلها في ذهن الباحث. التمثل هو الفهم، واصطناع المفتاح هو التأويل. تستلزم العملية التأويلية معاشرة واستئناس ثم استنباط ثم مقايسة، تتعاون فيها قوتان ذهنيتان: الذوق والعقل. ولا يكون التأويل ممكنا إلا إذا كانت المادة المدروسة وحدة منسقة تتسم إذا بصفات الكمال والشمولية والانتظام بقيمة جوهرية" (العروي، 2005، 314-315)

تم اشتقاق اسم الهرمينوطيقا من الإله هرمس، إله الطرق والمفارق والعتبات وعابر الحدود، ولهذا السبب يبدو أن ماهية الهرمينوطيقا، أن تتوسط بين مجالات الوجود، سواء بين الله والبشر، الصحوة والنوم، الوعي واللاوعي، الحياة وما بعد الحياة، ويبدو أن "أبعاد الإله الميثولوجي هرمس تومئ إلى عنصر محوري في معنى الهرمينوطيقا: وهو أنها وساطة بين العوالم، وفي الحالات

الشديدة تُعد رسالة هرمس مزلزلة للعالم: فهي تُحِدث، كما يقول هيدجر تحولا في الفكر" (مصطفى، 2007، 19) وعلى هذا الأساس توفر الهرمينوطيقا، ولا سيما كما طورها غادامير وآخرون، رؤى مهمة حول الحب.

1.13.2.1الفهم والمعنى

ترى الفلسفة الوضعية أن الطبيعة الإنسانية تماثل الطبيعة الفيزيائية، ولذلك يمكن تطبيق المنهج نفسه عليها جميعا بالتساوي، وهذا ما يسمى الأحادية المنهجية، وترى أيضا أن درجة تطور العلوم الطبيعية الدقيقة، وخاصة الفيزياء الرياضية، تضع معيارا منهجيا أو مثاليًا يقيس درجة التطور والكمال لجميع العلوم الأخرى، بما في ذلك العلوم الإنسانية، أخيرا، ترى أن التفسير العلمي في هذه العلوم هو تفسير سببي، وهو يتكون، من إدراج الحالات الفردية تحت قوانين طبيعة عامة مفترضة، بما في ذلك تفسير الطبيعة البشرية. وأن "الموقف اتجاه التفسيرات النهائية، أي اتجاه المحاولات لتفسير الحقائق من حيث النوايا، الأهداف، المقاصد، يكون إما رفضها باعتبارها غير علمية أو محاولة إظهار أنه يمكن، عندما تُنقى من بقايا مذهب حيوية المادة أو الحيوية، أن تتحول إلى تفسيرات سببية" (Wright، 1971، 4) إذن يتم استبعاد المعنى تماما في هذا النمط من البحث العلمي.

وعلى النقيض من هذا المسعى تم التأكيد على الفهم، نتيجة لإيمان ديلتاي بأن العلوم التجريبية التي تتخلى عن فهم الحياة العقلية، هي علوم عقيمة بالضرورة. لأن الناس يعبرون عن أنفسهم بطرق معقدة، لأنهم يعطون معنى للأشياء. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الوعي البشري يتطور باستمرار ويعيد تشكيل الأشياء إلى علامات خارجية لهذه المعاني المخصصة. وعلى هذا الأساس تتم إعادة إنشاء في ذهن الباحث للأجواء العقلية، والأفكار والمشاعر والدوافع، العائدة للموضوعات التي يدرسها. كما أن الفهم مرتبط أيضًا بـ "النية بطريقة لا يرتبط بها التفسير. يفهم المرء أهداف وغايات الفاعل، ومعنى علامة أو رمز، ودلالة مؤسسة اجتماعية أو طقس ديني. لقد أصبح هذا البعد القائم على النية أو، كما يمكن أن نسميه أيضا، البعد الدلالي للفهم يلعب دورا بارزا في المناقشات المنهجية الأكثر حداثة" (Wright، 1971، 6)

يمارس المرء الفهم من خلال دراسة الحياة النفسية من الداخل. ويدخل المحقق عالم حياة الموضوع من خلال أي وسيلة متاحة، على سبيل المثال، النصوص، المحادثة، والمشاركة الاجتماعية، ويحاول إعادة بناء الموضوع، وتُوسَّع هذه المعرفة الذاتية وتُغنى من خلال ربطها بالسياقات ذات الصلة بالتاريخ، والسياسة، والدين، وما إلى ذلك، بالتالي فإن طريقة الفهم ترتبط ارتباطا وثيقا بطريقة التأويل، حيث يُفهم معنى نص واحد (بشكل مؤقت) من خلال ربطه بمجموعة من النصوص ذات الصلة.

1.13.2.2الفهم كأولوية:

يذهب التأويل إلى أن الفهم متقدم وجوديا على التفسير، وأن الانخراط التأويلي مع المعنى يسبق ويمهد للتحليل النظري. وهذا يعني بعبارة أوضح، أن الحب في الفهم يوفر التوجيه الأساسي الذي تنبثق منه مشاريع التفسير. فالإنسان يمتلك بنية مسبقة من الفهم "ما تقدمه هذه البنية الاستباقية هو فهم غامض للطبيعة الوجودية للوجود. وبشكلٍ أكثر تحديدا، يُستدل من ذلك أن كل لقاء لنا يرتكز ويوجهه شيء موجود مسبقا – طريقة محددة مسبقا لتصور ما يهمنا" (McManus Holroyd ، 2007 , 2)

فعلى سبيل المثال، التصور المسبق عند شخص يعمل في قطاع الصحة، يتحكم بتعريف الألم والمعاناة على أنهما مترادفان، وبذلك فإنه يختزل المعاناة إلى أحد جوانبها العديدة، وهو الألم. كما أنه، يُنظر إلى السياق الأوسع للمعاناة على أنه ذو معنى واحد فقط قابل للمعالجة، وهو الألم الجسدي، والذي يُطبق بالتالي على الفرد. وبالتالي، يتصور أخصائيو الصحة المعاناةَ على أنها أمر يمكن التحكم به، وبأقل قدر من التدخل، لذا يلجؤون إلى أداة تضمن شكلا من أشكال العمل الفوري، وهي الأدوية. وبناء على هذا التصور الشائع، "ينخرط كل من أخصائي الصحة والفرد المُتألم في علاقة تتسم بمعرفة غير مُجسدة. تفتقر العلاقة إلى عمق المعنى لأنها تسترشد في الغالب بمبادئ نظرية معرفية قائمة على التجربة" (McManus Holroyd ، 2007 , 2)

ومن طرق تغيير المفاهيم المسبقة التي اختُزلَت إلى التصورات الشائعة دراستها عند ظهورها من خلال ما يُطلق عليه هايدغر وغادامير اسم الدائرة التأويلية. وقد وصف هايدغر الدائرة التأويلية

بأنها "الحركة المُتوقعة للفهم المسبق، وداخل هذه الدائرة، يتجاوز الفهم الموقف المعتاد للتفسيرات الذاتية أو الموضوعية؛ بل ما يُقدم هو التفاعل بين التقليد والتأويل" (McManus Holroyd , 2007، 3)

1.13.2.3اندماج الآفاق:

يصف المفهوم الهرمينوطيقي لـ(اندماج الآفاق) كيف ينشأ الفهم من خلال اللقاء بين وجهات نظر مختلفة. يسهل الحب في الفهم هذا الاندماج من خلال خلق الانفتاح الضروري للقاء حقيقي مع الآخر.

فالفهم يعني اندماج الآفاق بين الذوات، أو بين الذات والذات الأخرى، فالفهم لا يقتصر على نشاط الأنا، أو على شيء يحدث للذات؛ بل، ينطوي الفهم على فقدان الذات. إذ ينشأ الفهم من الوجود. لأن الانخراط في فهم نص أو شخص لا يعني الدخول إلى عقل الشخص. بل يعني ببساطة "الانفتاح على المنظور الذي كوّن من خلاله الشخص أو النص الآراء التي سيتم الكشف عنها" (McManus Holroyd ، 2007 , 4) إن الفهم، إذا ما وُجد بهذه الطريقة، يتجاوز الموقفين الذاتي والموضوعي، وهو أقرب إلى حركة بين ما يسميه غادامير التقليد والتأويل.

كما أن الفهم بالمثل اندماج بين أفق الماضي وأفق الحاضر، وذلك نظرا للحركة التاريخية للحياة البشرية، حيث لا يمكن أن يكون هناك أفق مغلق ووجهة نظر واحدة يسعى الباحث من خلالها إلى اكتساب الفهم. بل إن الأفق هو شيء نتحرك إليه ويتحرك في داخلنا، ولهذا الغرض، فإن أفق الماضي في حركة دائمة. بإدراك ذلك، يُدرك الباحث أن "أفق الحاضر لا يمكن أن يتشكل بدون الماضي: ليس هناك أفق للحاضر معزول في حد ذاته أكثر من وجود آفاق تاريخية يجب اكتسابها. بل إن الفهم هو دائمًا اندماج لهذه الآفاق التي يُفترض وجودها بذاتها" (McManus Holroyd , 2007، 2)

1.13.2.4الوضع التاريخي:

يؤكد التأويل على أن كل فهم يحدث ضمن سياقات تاريخية وثقافية معينة، لذلك يبدأ أي تأويل أو فهم دائما من إسقاطات المؤول المسبقة، علما أن إسقاطاتنا المسبقة بذاتها، نتاج لموقعنا في العالم. بعبارة أخرى نحن نفهم العالم قبل أن نبدأ بالتفكير فيه؛ هذا الفهم المسبق يُولّد الفكر ويُحدّده دائما. لذلك، لبدء عملية الفهم، كما هو الحال في المرحلة المبكرة من الدراسة البحثية، يجب على المرء أن يبدأ بـ "التفكير في توقعاته أو فهمه المسبق والمعاني الكامنة فيه، سعيا لتحديد شرعيتها واحتواء تأثيرها على الفهم الجديد. إذ تتبع توقعاتي المسبقة من تاريخي وثقافتي ولغتي وتجاربي الاجتماعية والسياسية، وتُشكل الآفاق المألوفة لعالم حياتي" (McManus Holroyd ، 2007 , 7) لكن فهمنا المسبق وتوقعاتنا ليست إلا نتاج لثقافتنا ولشرطنا التاريخي الذي نقع ضمنه ونتفاعل من خلاله.

لنأخذ مثالا على نهج البحث التأويلي الذي يتناول تجربة الأفراد الذين يعانون من أمراض مزمنة. لا يكفي أن نسأل كل فرد: هل يمكنك أن تشرح لي كيف تكون الحياة مع مرض مزمن؟ إن فهم كل فرد لتجربة ما، كالعيش مع مرض مزمن، يرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخه وثقافته. لذلك، للانخراط في الموضوع بصدق، لا بد من مشاركة تجاربه – سرد قصصي – وفي هذه القصص يتكشف المعنى والفهم. علاوة على ذلك، غالبا ما تُطرح الأسئلة ضمن هذه التجارب القصصية، وهذه الأسئلة تُوجه الحوار التفسيري. الأسئلة التي تنشأ من الحوار غالبًا ما تكون مختلفة تماما عما تصوره الباحث قبل اللقاء؛ إنه شيء يحدث خارج حدود ما كنا نرغب فيه في البداية.

1.14 الحب وفقا لمنهج التفسير:

يتناول التفسير الحب كموضوع للتحقيق النظري، ساعيا لتقديم شروحات منهجية لطبيعة الحب وأسبابه وتأثيراته وآلياته. يشمل هذا البعد مجموعة متنوعة من الأطر التفسيرية.

1.14.1 التفسيرات السببية:

يتم هنا البحث عن الأسباب للحب فنجد أنه يمكن لأي صفة أو ميزة جيدة أو جميلة قادرة على توليد الحب لصاحب هذه الصفة، مثل الوسامة والذكاء حيث نجد أنّ "أسبابَ الحبّ والبغضة متنوّعة بشكل كبير، إذا ما تمعنّا فيها، وأنّها لا تملك أشياء كثيرة مشتركة فيما بينها. حيث تولّد

الفضيلةُ الحبّ والتقدير لأيّ شخص كان، كذلك المعرفة والفطنة والحصافة والروح المرحة، وتولّد الكيفيّات المعاكسة البغضة والازدراء" (هيوم، 1734، 130) هنا يلحظ بسهولة ارتهان الحب للسبب، مهما يكن نوعه أو كمّه، وهذا الأمر واضح وجلي بل إن هيوم يؤكد عليه، بعبارة أخرى، يعتبر الحب مشروطا من الخارج، وليس نابعا من الداخل، فماذا يعني الصدور من الداخل أو الخارج؟ إن الارتهان للسبب يعني أن الحب متعلق فقط بهذا السبب ولا يتعداه إلى ما سواه، على عكس ما يحدث عندما يكون الصدور من الداخل، حيث ينتشر الحب على الجميع وعلى أي شيء، لذلك فإن "المحبة المسيحية قد اتخذت من البداية طابع الإحسان المطلق النزيه مثلها في ذلك كمثل النور الإلهي الذي يرسله الله على الأبرار والأشرار دون تمييز" (إبراهيم، 150،1966)

ثم يتابع هيوم في دراسة الأسباب ليجد في السبب "تمييزا جديدا بين الكيفيّة التي تشتغل والموضع الذي تحطّ عليه، فالأمير المالك لقصر فخم، يستوجب تقدير الناس على ذلك الأساس، وذلك أولاً: بسبب جمال القصر، وثانياً: بسبب علاقة المِلكيّة التي تربطه به. وإزالة أيّ منهما يدمّر الهوى، الأمر الذي يثبت بوضوح أنّ السبب سبب مرّكب" (هيوم، 1734، 130)

1.14.2 التفسيرات الوظيفية:

يتم في هذا النوع من التفسير البحث عن دور الحب في ازدهار الإنسان، والترابط الاجتماعي، أو النجاح التطوري.

لقد بحث هيوم في أهواء الحبّ والبغضة، ونظر إليها بمثابة أهواء غيريّة تخصّ الآخر، في حين اعتبر الزّهوّ والضعة أهواء أنانيّة، تخصّ الأنا ولا تخرج من نطاقها، يقول: "الزّهوّ والضعة انفعالات روحيّة صرفة، وغير مصحوبة بأيّ رغبة، ولا تثيرنا للفعل بشكل مباشر. لكنّ المحبّة والبغضة ليستا مكتملتين في ذاتهما، ولا تهجعان في ذلك الانفعال الذي تنتجانه، بل تحملان العقل إلى ما هو أبعد؛ إذ تتبع المحبّة دوماً رغبة في إسعاد الشخص المحبوب، وصدود عن إتعاسه. كذلك تولّد البغضة رغبة بإتعاس الشخص المكروه، وصدود عن إسعاده" (هيوم، 1734، 166) إذن أهواء المحبة والبغضة أهواء غيرية، بينما أهواء الزهو والضعة، أهواء أنانية، وهنا يجب الانتباه إلى أن عبارة (أهواء غيرية) تعني أن الآخر هو موضوع هذا الهوى، ولا تعني أنها أهواء تقوم على الإيثار، أما عبارة (أهواء أنانية) فتعني أن الأنا هو الموضوع الذي تنصب عليه هذه الأهواء، ولا تعني الأثرة، بعبارة أخرى يعتبر هيوم أن الحب والبغضة صلتان تربطان بين الأنا والآخر، بينما

يعتبر الزهو والضعة أهواء تعتمل في حدود الأنا فقط، ولا تصلها بأي شيء آخر. كما نلاحظ هنا، أيضا، الصلة التي تجمع بين الفعل من جهة والهوى (الحبّ والبغضة) من جهة أخرى، علما أن الصلة في حالة الحب صلة إيجابية تدفع الأنا لإسعاد الآخر بينما الصلة في حالة البغضة سلبية تدفع الأنا لإيلام الآخر.

1.14.3 التفسيرات البنيوية:

في هذا النوع من التفسير يتم تحليل المكونات المفاهيمية للحب والعلاقات المنطقية بينها. أما عن مكونات الحب بين الجنسين أو عناصره فهو ناجم عن تلاقي ثلاثة أهواء هي الشهوة الجنسية واللطف الرقيق والتلذذ بالجمال: ومن "الجليّ أنّ هذا الأثر الوجداني في أعظم حالاته طبيعيّة، مشتق من اقتران ثلاثة انطباعات أو أهواء مختلفة، وهي الإحساس اللاذّ الناشئ عن الجمال، والشهوة الجسديّة للإنجاب، واللطف النبيل أو النيّة الحسنة." (هيوم، 1734، 193) إذن بنية هوى الحب من ثلاثة عناصر الرغبة الجنسية واللطف أو الحنان، والاستمتاع بالجمال.

1.15 الحب وفقا لمنهج الفهم:

1.15.1 التفاعل العلائقي:

الحب في الفهم ينطوي على طريقة معينة للاهتمام بالآخر، تتميز بالانفتاح والاستقبال والعناية حيث يستند تأويل الحب إلى النظرة الوجودية للآخر كشخص يتمتع بحريته وإرادته الحرة، مما يعني "أخلاقيا: الاعتراف بحرية الآخر وكرامته، ومعرفيا: مقاربة الأشخاص والأفراد ذوي القيمة من خلال مواقف الإحسان والتعاطف والانفتاح وحسن النية تجاه الآخرين" (Крючков، 2018، 34) وهذا يُهيئ أرضية للممارسات الاجتماعية والمجتمعية في مجالات مختلفة، مثل العلاج النفسي أو السياسة، مع أن هذه الأرضية ليست رسمية وثابتة، بل هي وجودية وحدودية في حركة دائمة.

وهو ما يمكن التعبير عنه بعنصر الاهتمام أو الرعاية، وهو أحد العناصر المكون لماهية الحب بالإضافة إلى ثلاثة عناصر أخرى، وجميع هذه "العناصر هي الاهتمام والمسئولية والاحترام والمعرفة." (فروم، 2007 ، 131) فالرعاية هي: "العمل من أجل شيء وأن يجعل شيئا ينمو، وأن الحب والعمل لا ينفصلان." (فروم، 1972، 54-55) بعبارة أوضح الرعاية هي أن ينتبه الإنسان إلى حاجات المحبوب وأن يلبي تلك الحاجات بما يسهم في نموه.

1.15.2 البعد المعرفي:

المقصود بالبعد المعرفي هو تأثير الحب على الفهم، فيعمل الحب في الفهم كما يسميه الفلاسفة "فضيلة معرفية"— صفة شخصية أو موقف يعزز قدرتنا على المعرفة (Mason، 2021، 55) تعتبر هذه المقاربة الحب كفضيلة إبستمولوجية تعزز قدرتنا على المعرفة، خصوصا معرفة الأشخاص والقيم. يمثل الحب في الفهم ممارسة هذه الفضيلة، تأويلات الحب "لا تفسر من خلال حالة من الخوف، بل من خلال مواقف الإحسان والتعاطف والانفتاح. عندما يتم التعامل مع الشخص من خلال هذه المواقف، بصدق، فإن ذلك يسمح للشخص أو النص بالكشف عن حقائق خفية، والتي يمكن إيصالها من خلال شعور مستحق بالثقة وعدم الدفاع" (Крючков، 2018، 35) وهو ما عبر عنه عنصر المعرفة أحد العناصر المكونة لماهية الحب، حيث يقصد بالمعرفة أنها "التي لا تتوقف عند المحيط بل تنفذ إلى اللب." (فروم، 1972، 57) أي أن تعرف محبوبك لا بصفاته وأعراضه الخارجية، بل أن تعرفه بماهيته.

1.15.3 الحساسية للسياق:

هذا النمط من الفهم يحافظ على خصوصية وتميز ما يُواجَه، بدلا من إدراجه فورا تحت فئات عامة، فالحب هو إدراك التفرد. والحب هو الإدراك بأن شيئا آخر غير النفس حقيقي، ومستقل عني بصورة واقعية. "الحب هو معرفة الفرد" (Murdoch، 2014، 28) ينطوي الحب إذن على استعداد لرؤية الحقيقة، ولإدراك الأفراد تدريجيا كما هم حقا. وبالتالي، فإن العلاقة بين الحب والمعرفة علاقة وثيقة: فـ "الحب بالضرورة صادق لأن الحب يتكون (على الأقل جزئيا) من التقدم نحو معرفة أكثر كفاية بموضوعه" (Mason، 2021، 3) على سبيل المثال إذا نظرنا إلى عطيل في مسرحية شكسبير الشهيرة عطيل من منظور منفصل وغير شخصي، تبدو لنا شخصيته بلا شك غير جذابة. ومع ذلك، تستمد المسرحية قوتها ومأساويتها من تمكين الشخص المتفرج من إدراك شخصية عطيل من منظور محب، وبذلك رؤيته على أنه نبيل جزئيا، وفي الوقت نفسه مخطئ بشدة وعاجز بشكل قاسي. هذه الصفات هي جزء حقيقي من موضوع الإدراك، لكنها غير مرئية من منظور خارجي عن الحب. وهذا في الواقع ما يعبر عنه عنصر الاحترام أحد عناصر الحب إذ "ليس الاحترام خوفا وخشية، إنه يشير إلى القدرة على رؤية شخص كما هو وإدراك فردانيته المتفردة." (فروم،

1972، 56) أي أن الاحترام يعني أن تسمح للمحبوب ولنفسك بالاستقلال ضمن الوحدة، وأن ينمو هذا المحبوب على نحو ما تكون قابلياته متجهة.

1.15.4 الانتباه التحويلي:

الحب كفهم يغير كل من العارف والمعروف من خلال اللقاء أو التجربة، عند التعامل معها من منظور منفتح، "تُعرّض عملياتنا العقلية والفكرية للخطر، وتُظهر استعدادا للتخلي عن تعلقنا بمعرفتنا الحالية. من خلال هذه الطريقة في الوجود، لا يُصرّ الأفراد على معرفة المزيد، بل على معرفة مختلفة. ببساطة، يكون السائل مستعدا للتخلي، من خلال منفتح، عما يعرفه حاليا، وفي هذا التنازل، يمتلك السائل القدرة على التحول" (McManus Holroyd، 2007، 3) ومن أكثر الأمثلة شهرة عن هذه النقطة الأمومة والأبوة إذ يمتلك الناس فهما عقليا أو فكريا لما يعتقدون أنه الأبوة والأمومة، غير أنها تغير حكما بعد أن يصبحوا آباء وأمهات.

1.15.5 البعد الأخلاقي:

هذا الشكل من الفهم يحمل وزنا أخلاقيا ومسؤولية تجاه ما يتم فهمه. يمكن أن يعزز الحب في الفهم من الإدراك الأخلاقي من خلال جعلنا أكثر حساسية لاحتياجات الآخرين، نقاط ضعفهم، وكرامتهم لذا، من الناحية الوجودية، تعتبر هيرمينوطيقا الحب شخصا آخر كآخر تماما بإرادته الحرة. يجب على المرء أن يعترف بحرية الآخر من الناحية الأخلاقية، يعني ذلك أنه لا يجوز لنا عدم الاعتراف بكرامة الشخص الآخر. "إن القول بأن البشر لديهم كرامة يعني القول بأن أي شخص معين لا يقدر بثمن، وقيمته غير قابلة للقياس ولا يمكن استبدالها وبالتالي فهو ذو قيمة لا نهائية" (Крючков، 2018، 4–2) لذا تعد المسؤولية في مقصدها الصحيح "فعل إرادي تماما، إنها استجابتي لاحتياجات إنسان آخر سواء عبّر عنها أم لم يعبّر. أن تكون مسئولا يعني أن تكون قادرا ومستعدا لأن تستجيب" (فروم، 1972، 56) بقول آخر أن ينطلق المحب من تلقاء نفسه من دون أن يفرض عليه أحد ذلك، في انتباهه وتلبيته لاحتياجات المحبوب.

1.16 حدود المنهجين

1.16.1 حدود منهج الفهم

1- المثالية: قد يؤدي الحب إلى تصورات مثالية تخفي حقائق مهمة عن الحبيب أو الحالة. إذ يرى العاشق المحبوب كما يتمنى لا كما هو في الواقع، كما أن الحب ذاته يكون منسوج من روايات وقصص الحب المشهورة لا من واقع الشرط الاجتماعي والثقافي.
2- التحيز الجزئي: قد يتعارض التحيز الفطري للحب مع الشمولية المطلوبة للمعرفة الحقيقية والحكم الأخلاقي. فيتعرض الباحث للتضليل الذاتي، حيث قد تخلق شدة الحب دوافع للتضليل الذاتي تُضعف المصداقية المعرفية.
3- لماذا عشق جميل بثينة من بين جميع فتيات قبيلته ولم يعشق فتاة سواها؟ هذا السؤال الذي يبحث عن تفرد الحبيب، لا يستطيع منهج آخر سوى منهج الفهم أن يجيب عليه، لأنه بكل بساطة يدخلك إلى صميم تجربة جميل في حبه لبثينة، عبر معايشة لصيقة بكل تفاصيل التجربة.

يجادل مؤيدو الحب في الفهم بأن هذه المخاوف، رغم مشروعيتها، يمكن التعامل معها من خلال الوظيفة التصحيحية للتفسير، ومن خلال تطوير أشكال ناضجة من الحب تشمل الوعي النقدي المناسب.

1.16.2 حدود منهج التفسير

تواجه المقاربات التفسيرية البحتة للحب قيودها الخاصة أيضا، وهي:

1- الاختزالية: كما شاهدنا سابقا عند هيوم، أن الحب ينبع من الانطباعات الحسية وارتباطات التجربة، وليس من قرار عقلاني أو قيمة أخلاقية. وهذا يجعل الحب، في نظره، نتيجة تلقائية وليس اختيارا واعيا أو فعلا وجوديا. لذا يُتهم هيوم بأنه يختزل الحب إلى آلية نفسية، ويتجاهل أبعاده الوجودية، الأخلاقية، أو الروحية. عندما يجعله مجرد استجابة لانطباعات حسية. تخاطر المقاربات التفسيرية بتقليص الحب إلى مكوناته أو آلياته بطريقة تقضي على ما يجعله ذا معنى.
2- التجريد: قد يؤدي التحول نحو التعميم والتنظيم المنهجي إلى التغاضي عن الخصوصية التي لا يمكن اختزالها والتي تميز الحب الحقيقي، حيث يتم وضع قوانين تعمم على الجميع دون استثناء أو خصوصية.
3- غياب البُعد الاجتماعي أو الثقافي: إذ ركز هيوم على الفرد وتجربته الشعورية، دون تحليل كيف يتشكل الحب داخل بنية اجتماعية أو ثقافية. ولا يتناول كيف تؤثر الأعراف، الطبقات، أو الدين

في تشكيل الحب. فالحب ليس فقط شعورا فرديا، بل نتاجا ثقافيا يخضع للسلطة والمعايير الاجتماعية. وتجاهل هذا البُعد يجعل تفسير هيوم منقوصا.

4- النزعة الأداتية: قد يُستَخدم المعرفة التفسيرية بطرق تجعل الحب أداة بدلا من احترام قيمته الجوهرية.

تشير هذه المخاوف إلى الحاجة إلى مقاربات تفسيرية تظل متجذرة ومستجيبة لبصيرة الفهم المحب.

1.17 العلاقة بين المنهجين

1.17.1 كيف يؤثر منهج الفهم على منهج التفسير في الحب

الحب في الفهم يؤثر بعمق على الطريقة التي نتناول بها مهمة تفسير الحب. تظهر عدة ديناميكيات رئيسية:

1- توجيه الانتباه: الموقف المحب يحدد الجوانب التي تصبح بارزة للحب من أجل البحث النظري. إذ أن بعض الحقائق "يتوجب الاحتفاظ بها في موقف من الفهم بدلاً من اختزالها إلى تفسير سببي" (Schweitzer، 2005، 255) هذا يشير إلى أن الفهم المحب يعمل كنوع من الدليل قبل النظري الذي يوجه الجهود التفسيرية نحو ما هو أهم.

2- تقييد الاختزالية: الحب في الفهم يقاوم النهج التفسيرية التي قد تُزيل أو تُفسر بطريقة تضعف الخصائص، التي تجعل الحب ذو معنى. إنه يعمل كنوع من الرقابة ضد التفسيرات الاختزالية التي قد تلتقط آليات الحب بينما تفشل في إدراك معناه.

3- إثراء الوصف: تقدم الرؤى المكتسبة من خلال الفهم المحب محتوى وصفيا أغنى للأطر النظرية. فإن الاهتمام الدقيق بالتجربة المعيشة — بما في ذلك تجربة الحب — يوفر الأساس لتفسيرات نظرية أكثر كفاية.

1.17.2 كيف يؤثر منهج التفسير على منهج الفهم في الحب

وعلى العكس، تؤثر الأطر التفسيرية بشكل كبير على كيفية فهمنا للحب من ناحية التجربة:

1- الأطر المفاهيمية: توفر الحسابات النظرية أدوات مفاهيمية يمكن أن تعمق وتوضح الفهم للحب. أو ما يمكن تسمية بناء نظرية، تبين لنا ارتباطات الأسباب بالنتائج وتحدد نوع العلاقة

بينها وكيفية التأثير عليها مما يسمح لنا بالتحكم والتنبؤ بالحب، كما فعل هيوم في كتابه **في الأهواء**، حيث أوضح، من هو موضوع الحب وما هو سببه. وكيف يثار الحب بطريقة حتمية، فـ "الضرب الأكثر شيوعاً من الحبّ، إنّما هو الذي يثور أولاً من الجمال، وفيما بعد ينشر نفسه على اللطف وعلى الشاهية الجسديّة. وتعتبر شاهية الإنجاب واللطف أو التقدير بعيدتان جداً عن الاتحاد مع بعضهما بعضاً بصورةٍ سهلة. وربما يكون اللطف أو التقدير الهوى الأكثر ملازمة للروح، في حين قد تكون شاهية الإنجاب الأكثر سماجة وسوقيّة. ويتموضع حبّ الجمال بدقة في منتصف المسافة بينهما، ويقاسمهما طبيعتهما، من حيث أنّ منطلقه، هو مناسبته الفريدة لتوليدهما على حدّ سواء" (هيوم، 1734، 194) بالإضافة إلى علاقة قوى الذهن مثل المخيلة والواهمة بهوى الحب.

2- الوظيفة النقدية: تلعب المقاربات التفسيرية دورا نقديا جوهريا، حيث تساعد في تحديد متى يكون فهم الحب مشوها بالانحياز، أو المثالية، أو خداع الذات. إذ تساعد التفسيرات في معالجة المخاوف المتعلقة بإمكانية الحب في خلق الوهم أو المثالية، ففي العلاقات الرومانسية، على وجه الخصوص، غالبا ما تُنشئ الفترة المبكرة من الحب صورة مثالية، بل ومشوهة في كثير من الأحيان، عن الشخص الآخر، إذ يميل الناس إلى رسم صورة له كما يرغبون، لا كما هو في الواقع. ومع مرور الوقت (على الأقل في العلاقات الصحية)، تتغير هذه الصورة بطريقة لا تقتصر على تلاشي الإثارة أو التعلق "فنحن نكتسب فهما أعمق لما يعنيه الشخص الآخر من خلال الكلمات التي يستخدمها أو لغة الجسد التي يستخدمها" (Foster، 2008، 248) ومن جهة أخرى من أهم مقاصد التفسير أنه يوفر معايير تقييمية لتمييز حالات الفهم الحقيقي عن الوهمي. فقد "يكون الشعور بالفهم مؤشرا مضللا للفهم الحقيقي، أي حالة الفهم الفعلي. لذا، يجب إدراك أن سوء الفهم احتمال قائم، وبالتالي يجب أن تكون لدينا معايير صارمة بما يكفي" (Verreault-Julien، 2019، 18)

3- الجسر التواصلي: الأطر التفسيرية تجعل رؤى الفهم للحب قابلة للتواصل عبر سياقات ومجتمعات مختلفة، مما يتيح التأمل المشترك والحكمة الجماعية. بعبارة أخرى تصبح هناك إمكانية لتعميم تجارب الحب ونقلها من شخص لآخر ومن مجتمع لآخر.

1.17.3 التوتر وإمكاناته الإبداعية

تتميز العلاقة بين هذين البعدين بالتوتر المنتج بدلا من الانسجام البسيط:

1- التوتر المنهجي: يركز الحب في الفهم على الخصوصية والتفرد والسياق والطبيعة التي لا يمكن اختزالها للالتقاء الشخصي. بينما يسعى الحب في التفسير إلى التعميم والتجريد والحساب المنهجي. هذا التوتر يمنع أي من النهجين من أن يصبح متعصبًا أو أحادي الجانب.

2- الديناميات الزمنية: تتكشف العلاقة على مر الزمن، مع فترات يهيمن فيها أحد البعدين على الآخر. قد يسبق الفهم التفسيرَ زمنيا، ولكن بعد ذلك يمكن للتفسير أن يحوّل الفهم اللاحق.

3- التصحيح المتبادل: كل بعد يخدم في تصحيح الإفراط المحتمل للبعد الآخر. الفهم يمنع التفسير من أن يصبح ميكانيكياً أو مسلوب الإنسانية؛ والتفسير يمنع الفهم من أن يصبح ذاتياً أو غير نقدي تمامًا.

1.18 النتائج

من خلال التحليلات السابقة تبين لنا النتائج التالية:

1- لا يستطيع منهج التفسير لوحده الإحاطة بكامل تجربة الحب لعجزه عن ضبط تفردها وخصوصيتها.

2- انتهى منهج التفسير باختزال الحب إلى علاقة بين سبب ونتيجة، بغض النظر عن نوع السبب سواء أكان بنيوي أو وظيفي أو سببي.

3- يستطيع منهج الفهم أن يضبط تفرد الحب وخصوصيته لكنه لا يستطيع أن يضع نظرية تملك إمكانية التعميم.

4- المعنى هو المفقود الأكبر من منهج التفسير وهو الحاضر الأكبر في منهج الفهم.

5- الجمع بين المنهجين يؤدي إلى نتائج جيدة جدا في استخدام إيجابيات كل من المنهجين في استبعاد سلبيات كل منهما.

6- إن اختلاف نتائج دراسة الحب وفقا لمنهج الفهم عن نتائج دراسة الحب وفقا لمنهج التفسير، يؤكد أن الأبستمولوجي ذو تأثير أنطولوجي، بعبارة أخرى المنهج ليس محايد أنطولوجيا على الرغم من كونه شأن معرفي أبستمولوجي.

1.19 الخاتمة

تمثل العلاقة بين المنهجين في دراسة الحب (الفهم والتفسير) ديناميكية جدلية معقدة تُثري كلا من قدرتنا على المعرفة وقدرتنا على العيش بشكل جيد. بدلا من النظر إلى هذين المنهجين على أنهما متنافسان، يقترح هذا البحث أنهما يوجدان في توتر إنتاجي يمنع أي منهما من أن يصبح أحادي الجانب أو متشددا.

يوفر الحب في الفهم الأساس التجريبي والتوجيه الأخلاقي الذي يوجه البحث التفسيري، بينما يقدم الحب في التفسير الأطر المنهجية والأدوات النقدية التي يمكن أن تعمّق وتنقل رؤى الفهم المحب. وتتميز علاقتهما بالتأثير المتبادل، والتوتر الإبداعي، والحوار المستمر.

يكشف هذا البحث عن عدة رؤى رئيسية:

1. التكامل: كلا البعدين ضروريان للانخراط الكامل مع الحب بوصفه تجربة حياتية وموضوعًا نظريًا.
2. التفاعل الديناميكي: العلاقة بينهما ليست ثابتة بل تتطور مع مرور الوقت من خلال الحوار المستمر والتصحيح المتبادل.
3. الحساسية السياقية: التوازن المناسب بين الفهم والتفسير يختلف باختلاف السياقات والأغراض.

العلاقة المعقدة بين الحب في الفهم والحب في التفسير تعكس في النهاية حقيقة أعمق عن الوجود البشري: نحن كائنات نعيش ضمن علاقات الرعاية ونسعى في الوقت نفسه لفهم طبيعة وأهمية تلك الرعاية. قدرتنا على القيام بكليهما—الحب والتفكير في الحب—تمثل واحدة من أكثر

الجوانب تميزا وقيمة في التجربة الإنسانية. الحوار المستمر بين هذين البعدين يواصل إثراء كل من معرفتنا النظرية وفهمنا الحياتي لما يعنيه أن نحب.

1.20 المصادر والمراجع:

1- إبراهيم، زكريا. (1966). *مشكلة الحب*، مكتبة مصر.

2- أفلاطون. (1954). *المأدبة*، مطبعة الاعتماد بمصر.

3- بلعالم، عبد القادر. (2019). *الحب في القول الفلسفي .. من المفهومية إلى الأداتية أو من حب الحكمة إلى حكمة الحب*، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ، 12(1)، 102-110.

4- الحفني، عبد المنعم. (2000). *المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة* (ط3)، مكتبة مدبولي.

5- العروي، عبدالله. (2005). *مفهوم التاريخ* (ط.4)، المركز الثقافي العربي. فروم، أريك. (1972). *فن الحب*، (مجاهد عبد المنعم مجاهد، مترجم). دار العودة. (العمل الأصلي نشر في).

6- فروم، أريك. (2007). *الإنسان من أجل نفسه*، (محمود منقذ الهاشمي). وزارة الثقافة. (العمل الأصلي نشر في).

7- لالاند، أندريه. (2001). *قاموس لالاند الفلسفي (ط2)*، (خليل أحمد خليل، مترجم). منشورات عويدات.

8- مصطفى، عادل. (2007). *فهم الفهم مدخل إلى الهرمنيوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر*، رؤية للنشر والتوزيع.

9- هيوم، ديفيد. (2008). *رسالة في الطبيعة الإنسانية- في الأهواء*، (وائل سعيد، مترجم). الهيئة العامة السورية للكتاب. (العمل الأصلي نشر في 1739).

10- Foster, G. (2008). *Romantic Love and Knowledge: Refuting the Claim of Egoism. Dialogue,* 47(2), 235-251. https://doi.org/10.1017/S0012217300002596

11- Murdoch, Iris. (2014). *The Sovereignty of Good*, First published in Routledge Great Minds.

12- McManus Holroyd, A. E. (2007). *Interpretive hermeneutic phenomenology: Clarifying understanding*. The Indo-Pacific Journal of Phenomenology,7(S1). https://doi.org/10.1080/20797222.2007.11433946

13- Крючков, K. S. (2018). *Hermeneutics of love: new ground for psychological and social practice.* Sententia: European Journal of Humanities and Social Sciences. Available: https://cyberleninka.ru/article/n/hermeneutics-of-love-new-ground-for-psychological-and-social-practice.pdf

14- Mason, C. (2021). *Iris Murdoch and the Epistemic Significance of Love*. In Iris Murdoch and Contemporary Philosophy (pp. 45-68). Springer. https://doi.org/10.1007/978-3-030-72324-8_3

15- Schweitzer, D. (2005). *The dialectic of understanding and explanation in answers to questions of theodicy*. Studies in Religion/Sciences Religieuses, 34(2), 251-268. https://doi.org/10.1177/000842980503400206

16- Verreault-Julien, P. (2019). *Understanding does not depend on (causal) explanation.* European Journal for Philosophy of Science, 9(2), 1-18. https://doi.org/10.1007/S13194-018-0240-6

17- wright, g. *explanation and understanding*, London, routledge & keganpaul , first published in great Britain 1771 .